الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ
اتجاهاته ومضامينه

يوسف منصر
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

الملخص :

تندرج هذه الدراسة في إطار تيار لساني جديد ما فتئ يتبلور في الثقافة العربية اللسانية الحديثة؛ وأعني به الاتجاه اللساني النقدي، الذي يعنى بتتبع الحركة اللسانية العربية من خلال ما تقدمه من خطابات لسانية متعددة الاتجاهات، وكذا الأعلام اللسانيين الذين أغنوا النشاط اللساني العربي عامة والمغاربي خاصة بمختلف المقالات والمصنفات.

وسنركز في هذه الدراسة على المحاور الآتية :

- الخطاب اللساني.
- الخطاب اللساني المغاربي.
- أنماط الخطاب اللساني المغاربي.
- مضامين الخطاب اللساني المغاربي.
-

Résumé:

Discours linguistique maghrébin
Tendance et contenu

Cette étude fait partie d'un courant nouveau qui prend de plus en plus forme dans le paysage de la culture et de la linguistique arabe moderne; c'est une linguistique critique qui se penche sur les différents tendances du discours linguistique ainsi que le parcours de certains linguistes arabes en général, et les maghrébins en particulier et leurs contributions dans ce domaine.

L'étude s'est concentrée sur les axes suivants:

- le discours linguistique.

- Le discours linguistique maghrébin.
- Modèles des discours maghrébins.
- Contenus des discours linguistiques maghrébins.

توطئة:

تتطوّر العلوم على اختلاف أنواعها و مباحثها، وفق صعيدين هما:

إمّا بالتّراكم، و إمّا بالقطيعة، فعلى الصّعيد الأوّل تضاف مجهودات (المحدثين) إلى مجهودات المتقدّمين (القدماء)، مع بقاء مجال الرّؤية موحّدا مستمرًا على الوتيرة نفسها، و على الصّعيد الثّاني تكون حركيّة علم من العلوم مبنيّة على الاتّصال و الانفصال في آن واحد، فبقدر ما يمعن المتأخّرون في تغيير مسارات البحث و وسائله النّظريّة و المنهجيّة، و غاياته التي يصبو إليها، بقدر ما يكونون قد دفعوا بتلك المعرفة أشواطا إلى الأمام، أو بثّوا فيها نفسًا جديدًا، غير أنّ الأهم بين هذا و ذاك هي لحظة وقوع الاتّصال و حدوث الانفصال؛ إنّها نقطة انعطاف وتوقّف يستدير فيها العقل إلى الوراء لمعاينة الصّرح المعرفيّ الذي شيّده و يحاول تقويمه و تقييمه، تحسّبا لمواصلة المسيرة (أي الصّيرورة المعرفيّة)، و طرح لآفاق علميّة استشرافيّة جديدة.

إنّ تلك اللّحظة الّتي تقف فيها الذّات العارفة لمعرفة معيّنة معاينة و محلِّلة و ناقدة، ليست إلاّ محاولة منها لقراءة خطابها المعرفيّ ذاته، من خلال أدوات قرائيّة تصطنعها لنفسها، فتنظر بذلك إلى منجزها عير محطّات زمنيّة متعاقبة، و وفق رؤى ليست بالضّرورة متجانسة.

هنا إذن يتنزّل تصوّر مداخلتنا، الّتي نسعى من خلالها إلى مقاربة الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ – و بعيدًا عن كلّ نزعة إقليميّة – من خلال تبيان ماهيّته، و الأنماط الخطابيّة اللّسانيّة الّتي يزخر بها، و من ثمّة المضامين الّتي يفرزها و يتأسس عليها كلّ لون من ألوان الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و عليه ستتوزّع مداخلتنا في عمومها على المباحث الآتيّة:

1- الخطاب اللّسانيّ و الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ: ضبط مفاهيمي و مصطلحي:

2- أنماط الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و فيه نتحدث عن:

أ- الخطاب اللّسانيّ التأسيسيّ التّعليميّ.

ب- الخطاب اللّسانيّ التراثيّ(القرائيّ الشّارح).

ت- الخطاب اللّسانيّ المتخصّص(الوظيفيّ/ التوليديّ التّحويليّ).

ث- الخطاب اللّسانيّ النّقديّ.

3- مضامين الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ من خلال عرضنا لبعض القضايا اللّسانيّة الّتي استوقفت مختلف الأ نماط المذكورة: نماط المذكورة

1- الخطاب اللّسانيّ: LE descours Linguistique:

الخطاب العلميّ خطاب متعدّد الأنماط، فثمة خطاب علمي واصف وخطاب علمي تقرير وخطاب لعمي تفسيري، وخطاب علمي جماعي، ولكل منها بنية وخصائصه وأهدافه التي تميزه عن غيره وإن تقاطع معها في بعض السمات.

والخطاب اللساني يمكن اعتباره لونا من ألوان الخطاب العلمي، يأخذ هو أيضا بحظه من بعض مميزات الخطابات العلمية المذكورة آنفا ويستقل بخصائص لا تتوافر في غيره.

فالخطاب اللساني« خطاب علمي له حد أو ماهية، مادة أو موضوع أو ظاهرة وغاية أو أهداف يود تحقيقها من خلال تطبيقاته المختلفة »[1]، أو هو بتعبير أكثر دقة « التحدث عن حديثنا عن اللغة »[2] وعلى هذا الأساس يجوز لنا اعتبار كل كلام عن الظاهرة اللغوية ويتصف بالعلمية خطابا لسانيا فما كتبه دي سوسير وتشومسكي وعبد الرحمان الحاج صالح، والفاسي الفهري، والمسدي، وأحمد المتوكل وغيرهم كثير، كلها خطابات لسانية لأنها تتخذ اللغة كمادة او موضوع بغرض بحثها وفق معطيات منهجية محددة.

2- الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ:

بعد أن تبيّنا حدود مقصدنا بمصطلح الخطاب اللّسانيّ؛ فإنّ إلحاق الدّال (المغاربيّ) و إضافته لهذا المصطلح، لن تخرج به عن دلالته التي رصدنا، غير أنّه ينزاح به إلى حدود زمانيّة و مكانيّة نعيّنها فيصبح المقصود ذلك الخطاب اللّسانيّ الّذي يتحرّك في فضاء جغرافيّ محدّد وتمّ إنجازه و تحقيقه – أي الخطاب اللّساني بوصفه تفكيرا محكوما بالعلميّة – منذ أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا، و من قبل لسانيّين مغاربة –

نشير إلى المغرب العربيّ – كالدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح من الجزائـــر، و عبـــد القادر المهيري، و عبد السّلام المسدّي من تونس، و عبد القادر الفاسي الفهري، و أحمـــد المتوكل، و مصطفى علفان من المغرب، و غيرهم من اللّسانيّين الذين يضـــيق المجـــال لذكرهم أجمعين و عليه فإنّ التّوجّه إلى الخطاب اللّســـانيّ المغـــاربيّ تمليـــه اعتبـــارات حضاريّة الهدف من ورائها تبيان الجهود اللّسانيّة لعلماء اللّسانيّات المغاربيّين، بوصـــفهم جزءًا من الحركة اللّسانيّة العربيّة عامّة من ناحيّة وللأهميّة البالغة الّتي تكتســـيها تلك الجهود، و ما تتميز به من ناحيةٍ أخرى، دون أن يكون لكلامنا هـــذا الاســـتخفاف أو الانتقاص من الجهود اللّسانيّة المشرقيّة؛ إذ أنّها تبقى رائدة، من حيث أنّ لها الفضل فـــي ظهور الثّقافة اللّسانيّة في العالم العربيّ و بخاصّة الجامعة المصريّة.[3]

غير أنّ الّذي حملني على هذا الوصف أو التّفويق للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، جملـــة من العوامل الموضوعيّة لعلّ أهمّها يكمن في كون بداية التّجربة اللّسانيّة المغاربيّة لم تكن عشوائيّة أو مصادفة، بل " تحاشت الطّفرة، و جانبت الارتجال، ففي الجزائر أنشئ ســـنة 1966 معهد العلوم اللّسانيّة و الصّوتيّة، و ظلّ يؤسّس العمل المثابر حتّى أصـــدر ســـنة 1971 مجلّته المتخصّصة اللّسانيّات* الّتي أدّت رغم تعثّرها وظيفة ساميّة فـــي ترســـيخ الوعي المعرفي العميق، و في تونس بدأ المرحوم صالح القرمـــادي المشـــروع الكبيـــر بترجمة كتاب جون كانتينو " دروس في علم أصوات العربيّة" عام 1966، ثمّ سنة 1975 في ترجمة دروس دي سوسير و في أثناء ذلك انصرف من جهته إلى ترجمة كتاب أندري مارتينيه "مبادئ في اللّسانيّات العامّة" فأتمّه و وافاه الأجل قبل لأن يخرجه إلى النّاس، و في جهد موازٍ لكلّ ذلك أنجز الباحث الطيّب البكّوش ترجمته لكتاب جـــورج مونـــان " مفاتيح اللّسانيّات " سنة 1981.[4]

إضافة إلى هذا العمل التّأسيسيّ السّاعي إلى غرس البحث اللّسانيّ في التّربة العربيّة عامّة بشكل يضمن نموًا طبيعيّا لها، نجد خصوصيّة أخرى للخطاب اللّســـانيّ المغـــاربيّ تمنحه نوعا من الامتياز و أعني بذلك التّجمّعات العلميّة الأولى الّتـــي احتضـــنتها بلـــدان المغرب العربيّ، و هي مهمة بالنّظر إلى الظّروف التي عقدت فيهـــا مـــن ذلـــك: نـــدوة اللّسانيّات و اللّغة العربيّة 1978[5] و اللّسانيّات في خدمة اللّغة العربيّة 1981[6]و الملتقى الدّوليّ الثّالث في اللّسانيّات 1983[7]، وهي ثلاثيّة احتضنتها الجامعة التّونسيّة، و أعقـــب ذلك بسنوات أربع و تحديدا سنة 1987؛ نـــدوة تقـــدّم اللّســـانيّات فـــي أقطـــار العـــالم

العربيّ[8]،التي احتضنتها الجامعة المغربيّة و بإشراف من المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة و العلوم، و يحسن بنا في هذا المقام أن نشير أيضا – علاوة على ما ذكرنا – اندراج الثّقافة اللّسانيّة في الحركات الجمعويّة ذات الطّابع العلميّ، فالمغرب نسمع بجمعيّة اللّسانيّات الّتي يترأّسها الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، و بالجزائر أُسِّس حديثا الجمعيّة الخليليّة نسبة إلى النّظريّة الخليليّة الحديثة الّتي يقول بها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح.

3- أنماط الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ:

يتميّز واقع البحث اللّسانيّ المغاربيّ و العربيّ على حدّ سواء بتعدّد نماذجه و أنماطه، و هذا التّعدّد يعكس مبدئيا تعدّد المرجعيّات أو الخلفيّات الّتي تضبط و تحدّد هذا النموذج من الكتابة اللّسانيّة أو ذاك.و سنعتمد في عرض أنماط هذا الخطاب اللّسانيّ المنهجيّة نفسها الّتي اعتمدها الباحث: مصطفى غلفان في دراسته القيّمة الموسومةبـ:" اللّسانيّات العربيّة: دراسة نقديّة في المصادر و الأسس النّظريّة و المنهجيّة"[9]؛ إذ لجأ إلى الثلاثيّة الّتي تحكم إنتاج كلّ خطاب مهما اختلفت طبيعته و هي: الموضوع و الغاية و المنهج، بيد أنّنا سنقتصر على العنصر الأخير في استخلاص نماذج الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، على أن نرجأ النظر في النماذج التي تترتب عن النظر في الموضوع والغاية إلى دراسة أخرى مستقلة.

إنّ المقصود بالمنهج كبؤرة لإفراز النّماذج اللّسانيّة الّتي نروم بحثها ليس إلاّ تبيانا " لوجهة النّظر المتّبعة في بحث موضوع معيّن"[10]، أو الطّريقة الّتي تمّ وفقها التّعامل مع الثّقافة الجديدة الوافدة، و في هذا الإطار، نجد الباحث اللّسانيّ المغاربيّ، قد سلك أربع طرق متباينة أو تعامل مع اللّسانيّات وفق أربع منهجيّات هيّ:

1- **المنهج التعليميّ:** " القائم على التوضيح و التبيان و الشّرح، و ما يتطلبّه كلّ ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة و الرّسوم البيانيّة"[11] و عليه يتحدّد النّمط الأوّل من الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و هو الخطاب اللّسانيّ التّعليميّ أو التبسيطي، الذي يهدف إلى تسيير المعرفة اللّسانيّة، و تلقين مبادئها إلى " القارئ العربيّ سواء كان يلج عالم التخصّص أو قارئا ينشد التسلّح باللّسانيّات للاستفادة منها في مجالات فكريّة أخرى من فكر عربيّ أو نقد أدبيّ أو تاريخ أو ما شابه ذلك ".[12]

2- **المنهج القرائيّ:** و هو المنهج الذي يعتمد القراءة كآليّة لإنتاج خطابه اللّسانيّ، انطلاقا من وجود المادة محل القراءة، و هي في واقع البحث اللّسانيّ المغاربيّ النّصوص التراثيّة الّتي عنيت بمسائل عديدة و متنوّعة من الظّاهرة اللّغويّة، و من ثمّة يتحدّد النّمط الثّاني و هو الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ، أو لسانيّات التّراث على حدّ تعبير أحد الباحثين.[13]

3- **المنهج العلمي:** و المقصود بذلك مختلف المناهج الّتي تصطنعها اللّسانيّات في معالجتها للظّاهرة اللّغويّة كالمنهج الوصفيّ و التّفسيريّ و المقارن و غير ذلك، و منه يتحدّد لدينا النّمط الثّالث و هو الخطاب اللّسانيّ الصّرف أو المتخصّص المتقيّد بخطوات البحث اللّسانيّ المعروفة في إطار الخطاب اللّسانيّ العالمي.

4- **المنهج النقديّ:** و أعني به المنهج الذي يحتوي و يستوعب كلّ الخطابات المحدّدة آنفا من تعليميّ و تراثيّ و لسانيّ صرف بغية معاينتها كبنية خطابيّة عالجت اللّغة و متعلّقاتها، و نقد أسسها و مناهجها و كذا غاياتها الّتي تهدف إليها، و يترتب عن ذلك الإقرار بالنمط الرّابع و الأخير من أنماط الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و هو الخطاب اللّسانيّ النقديّ، الذي تشهد كتابات كثيرة عربيّة كانت أم مغاربيّة على وجه الخصوص بتناميته و مسايرته للمنجز من خلال الكتابات اللّسانيّة المختلفة.[14]

النّمط الأوّل: الخطاب اللّسانيّ التبسيطي أو التّعليميّ أو التّأسيسيّ:

و يوسم في بعض الكتابات اللّسانيّة النقّديّة بالتّمهيديّ[15]، و هو كما أوضحت خطاب ذو غاية تعليميّة هدفه إشاعة الدّرس اللّسانيّ و غرسه في منظومتنا المعرفيّة، ومن بين الكتابات اللّسانيّة المغاربيّة الّتي تنحوا هذا المنحى أو يمكن إدراجها تحت هذا الصّنف نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1. مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات لعبد السّلام المسدّي.
2. مبادئ في اللّسانيّات لخولة طالب الإبراهيميّ.
3. البنيويّة لمحمد الحنّاش.
4. مدخل إلى علم الدلالة لحمد يحياتن.

و يتأسّس هذا الخطاب باعتقادنا على جملة من المسوّغات الّتي تعطيه شرعيّة الوجود على خريطة البحث اللّسانيّ المغاربيّ العام، و الّتي من بينها:

1. اعتبار اللّسانيّات جسما وافدا و غريبا عن الثّقافة العلميّة الموروثة، و أنّ إدماج هذا الجسم، و زرعه في التّقاليد العلميّة السّائدة يتحقّق من بين ما يتحقّق به عبر تقديمه للمتعلّم خاصّة و القارئ عامّة لما يكفل له التعرّف على تلك المنظومة المعرفيّة الجديدة، بعدما يكون التلقّي قد تمّ بشكل قبليّ و سابق من لدن من سيتولون مهمّة تيسيره و تبسيطه، و بتعبير آخر نقل اللّسانيّات من إطارها العلميّ الدّقيق إلى الإطار التّعليميّ الذي يُعنى بتقديم المحاور الكبرى للدّرس اللّسانيّ، و شحن المتعلّم بكل المفاتيح المعرفيّة الّتي تمكنه على محور الزّمن من تجاوز التّعليميّ إلى العلميّ[16].
2. التّصوّر القبليّ لمنشأ الخطاب التّعليميّ أو التّبسيطيّ: إذ غالبا ما يصرح كتاب هذا النّمط من الخطاب اللّسانيّ، بأنّ ما يكتبونه أو ما يخرجونه من كتب (تنحو هذا المنحى) هو بوجه: للمبتدأ أو إلى الذي يريد الاطّلاع البدئيّ، أو الدّارس في الصّف الجامعيّ الفلانيّ، و غير ذلك من هذه الصّفات الّتي تؤكّد تواجد الكتابة اللّسانيّة التمهيديّة انطلاقا من وعي مؤلفيها، بانعدام مبادئ الدّرس اللّسانيّ لدى المتلقيّ.
3. ضعف الجهد المبذول في مجال التّرجمة اللّسانيّة، فكأن اللّسانيّ المغاربيّ يفضّل القيام بالكتابة اللّسانيّة التّبسيطيّة بناءً على ما فقهه من علم اللّسان بشكل شخصيّ، على أن يخوض غمار ترجمة أحد الكتب المفاتيح في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ[17].

النّمط الثّاني: الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ:

يعدّ هذا النّمط من أنماط الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، وليد الثّنائيّة الّتي شغلت و لا زالت الفكر العربيّ المعاصر، و هيّ: الأصالة و المعاصرة أو الحداثة و التّراث، و الّتي أفرزت كما هو معلوم ثلاث رؤى متباينة.

أوّلهما: تتبنّى مقولات القدامى في شتّى ضروب المعرفة (الإنسانيّة خاصّة) و تعتبر ما جاء به المحدثون، تكرار لما سبق أن بُحث و أُلف فيه.

و ثانيهما: يمارس فعل القطيعة مع التّراث (المنجز الفكريّ العربيّ القديم)، و يعتبره بنية مغايرة تاريخيّا و ثقافيا و معرفيا مقارنة بالخطاب الغربيّ أو خطاب الآخر.

و ثالثهما ذو ميول توفيقيّ، يسعى أن يخفّف من حدّة التطـرّف الّتـي تطبـع الـرّؤيتين السّابقتين، فيأخذ من مقولات القدماء و مقولات المحدثين ما يؤلف به خطابا توفيقيًّا.

و لمّا كان الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ، مؤسّسا على تلك الخلفيّة، أي ثقافة حمل الفرع علـى الأصل على حد تعبير عبد السّلام المسدّي[18]، فإنّه سعى إلى تقديم المبرّرات الّتي تعطيه مشروعيّة الوجود، و تناول الظّاهرة اللّغويّة من خلال النّظر في قضايا لسانيّة معاصـرة بعيون تراثيّة و التي نصوغها في الآتي:

1. إسقاط المرحلة الحضاريّة الإسلاميّة العربيّة إبّان عهودها الزّاهيّة من تـاريخ البحث اللّسانيّ البشريّ عبر امتداده الزّمنيّ، فأشهر المصنّفات الغربيّـة الّتـي أرّخت للفكر اللّسانيّ البشريّ، تقفز على الفترة الّتي أعطى فيها علماؤنا العرب القدامى الكثير من المباحث و الأفكار و النّظريّات حول اللّغة[19]، و من ثمّـة يصبح الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ، في بعد من أبعاده المختلفة وصلاً لمفصـول من حلقات الفكر البشريّ، و تنبيها إليه.
2. يرى أصحاب هذا الاتّجاه، أنّ إعادة قراءة الفكر اللّغويّ القديم علـى ضـوء المباحث اللّسانيّة المعاصرة لا يمتّ بصلة إلى الفوارق السّيّاقيّة المتباينة بـين البحث اللّغويّ القديم و نظيره الحديث، ممّا يلغي – حسب رأي القائلين بمقولة الفوارق السّيّاقيّة – كلّ جهد تقريبيّ أو توفيقيّ، بل إنّ القضيّة عندهم مرتبطـة بالتّراث ذاته من حيث قدراتنا على إعادة بعثه و تطويره، دونما حاجـة إلـى مقارعته بالحديث، وهم بذلك يعتبرون " قراءة التّراث تأسيسا للمستقبل علـى أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"[20]، و يـدعمون رأيهم بإمكانيّة تجدد التّراث عبر إعادة قراءته، بالقرآن الكريم كونـه رسـالة لسانيّة، فهذا الأخير حسب وجهة نظرهم " كان من المفروض أن يتجدّد نمـط قراءته منذ نزوله أي منذ حلوله محلّ الموجود اللّسانيّ على لسان باثّـه الأوّل لاسيما أنّه نصّ خلو من الطّلاسم أو الملغّزات"[21]، إلاّ أنّ تميّـزه بصـلاحيّته الزّمانيّة و المكانيّة عبر القراءات المتنوّعة، يجعل الحضارة العربيّة الإسلاميّة " تقوم على مبدأ النّشوء و التولّد يتناسل الموروث عبر الـزّمن فتتولّـد مـن

الموجود الواحد كائنات متعدّدة على قدر ما تتولّد من الـنّص نصـوص تلـو النّصوص"[22].

3. اعتبارهم نصوص التّراث اللّغويّة مطابقة لمباحث الدّرس اللّسانيّ الحـديث، و أنّ الفارق الوحيد لا يعود لخصائص تمسّ هذا الصّنف من البحث أو ذاك، بل لما وفّرته التكنولوجيا من تقنيّات و آلات يسّرت عمل اللّسـانيّ المعاصـر، و لعلّ الأمر بهذه الكيفيّة سيغدو مسوّغا إلى القول ليس بالتطابق فحسـب، بـل "بتفويق القديم على الحديث"[23].

النّمط الثّالث: الخطاب اللّسانيّ المتخصّص:

يعتبر هذا النّمط من أنماط الكتابة اللّسانيّة المغاربيّة الأقـرب إلـى ممارسـة الفعـل اللّسانيّ، مقارنة ببقيّة الأنماط، و السّبب في ذلك أنّه لا يتناقض و موضـوع اللّسـانيّات نفسها، فإذا كان موضوع هذه الأخيرة هو دراسة اللّغات الطّبيعيّة لذاتها و لأجل ذاتها على حد تعبير" دي سوسير" فإنّ هذا الخطاب لا يحيد عن هذا التّحديد، فنراه – و كما سنعرض عند حديثنا عن المضامين– يشتغل على بنيات اللّغة العربيّة: الصّـوتيّة و الصّـرفيّة، و التّركيبيّة، و الدّلاليّة، و المعجميّة، متوسّلا في ذلك بالأسس النّظريّة و المنهجيّة الّتي أقرّها البحث اللّسانيّ الحديث، بخلاف الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ الـذي يبـدو " متعاليـا علـى موضوعه "[24] أو الخطاب التّعليميّ، الّتي يعدّ على هامش اللّسانيّات أو في مدخلها، مثلما تشي بذلك العديد من المصنّفات الّتي تتدرج ضمن هذا البحث.

و للخطاب اللّسانيّ بدوره جملة من الأسباب التي أسّست لظهوره و التي تعود باعتقـادي إلى سببين هما:

1. اعتبارها البحث اللّغويّ القديم بآليّاتـه النّظريّـة و أدواتـه المنهجيّـة و منظومته المصطلحيّة، منجزا نظر في بنية لسانيّة مغايرة للبنية اللّسـانيّة المتداولة حديثا.
2. ربط البحث اللّسانيّ، بمهمة التّفسير، و ليس الوصف فحسب كما يـذهب إلى ذلك أصحاب التيار التوليديّ التّحويليّ، في نقدهم للاتّجاه الوصفيّ، و أنّ عدم الاكتفاء بالوصف و تجاوزه إلى التّفسير حقيق بأن يوقف الباحث على المعادلة المشتركة بين مختلف الأنظمة النّحويّـة للّغـات الطّبيعيّـة (الكليات اللسانية).

4-النّمط الرابع: الخطاب اللّسانيّ النقدي:

وهوخطاب مؤسس على خطاب آخر يسبقه زمنيا ،وغايته أن يتتبع منجزات الخطاب اللساني المغاربي على اختلاف أنماطه ودلك بالنظر إلى الأسس النظرية التي يصدر عنها والأدوات المنهجية والإجرائية التي يتوسل بها والنتائج التي حققها وتكمن أهمية هذا النمط في الدور الذي يلعبه في إطار الثقافة اللسانية العربية والمتمثل أساسا في تقويم الحركة اللسانية المغاربية وتحديد موقعها من صميم النشاط اللساني (مدى قربها أو بعدها عنه) مما يسهم في إثرائها من ناحية وتوجيهها من ناحية أخرى.

3. مضامين الخطاب اللساني المغاربي:

تتباين مضامين الخطاب اللّساني المغاربيّ بحسب الأنماط التي حددناها؛ إذ أنّ كلّ نمط يفرز مضامينه الخاصة به، مع ملاحظة أخرى هي أنّ المضامين الّتي يتناولها كل نمط خطابيّ مرتبطة بالغايات و الأهداف التي يرسمها هذا الخطاب أو ذاك.

أ- مضامين الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ التأسيسيّ أو التعلّيمي:

يُجمل أحد الباحثين المهتمين بإشكالات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية محاور الدرس اللّساني التأسيسي في "النظريات اللسانية "[25] من حيث التطرق إلى "مبادئها و مناهجها، و اتجاهاتها و أعلامها"[26]، ونفهم من هذا التّحديد أنّ الخطاب اللّسانيّ التأسيسيّ من خلال مضامينه العامة يسعى إلى تشكيل مداخل، أو مقدّمات أو محاضرات، للمعرفة اللّسانيّة موجهة خصيصا للقارئ المبتدئ أو الجديد على هذا الميدان.

و إن شئنا التفصيل في ما أُجمِل من مباحث الكتابة اللّسانيّة التأسيسية أو التعليمية، فإنّه يمكن حصرها -بعد النّظر في ما تشترك فيه الكتابات اللّسانيّة التعليميّة- في الآتي:

1. التعريف باللّسانيّات كعلم هدفه الدراسة العلمية للغة.
2. المبادئ العامة للسانيّات مع التركيز على الثّنائيات السوسيرية المعروفة (لغة/كلام)،(دال/مدلول)،(دياكروني/سانكروني)،(محور التراكيب/ محور الاستبدال).
3. التعريف بفروع الشجرة اللّسانيّة أو التخصصات اللّسانية المختلفة مثل اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات النفسية، اللسانيات التاريخية و غيرها.
4. التعريف بأهم الاتجاهات أو المدارس اللّسانيّة، و ذلك بشكل يتسم بالعمومية، لا التفصيل.

5. التعريف بالمناهج ما قبل ظهور اللّسانيات: كالتاريخية و المقارنة، ثمّ مع ظهور اللّسانيات من بنيوية و وصفية و تفسيرية تعليلية.

ب- مضامين الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ التّراثيّ القرائيّ أو الشّارح:

تتحدد مضامين هذا الخطاب انطلاقا من آلية القراءة التي يعتمد عليها و طبيعتها أيضا، فإن كانت قراءة تروم الشرح و التبيان لما هو تراثي بغرض مساواته مع المنجز اللّسانيّ الحديث، فنكون أمام مضامين تختلف في جزئياتها لا في طابعها العام مع القراءة التي تبحث في التراث عما هو ثمين و قابل للانبعاث من جديد و ذلك من باب إحداث تواصل بين قديمنا و حديثنا، على غرار ما يقوم به اللساني الجزائري الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في إطار ما أصبح يعرف بالنـــظرية الخليلية الحديثة.

و يمكن تلخيص مضامين هذا الصنف من الخطاب في الآتي:

1. التّعريف باللّسانيّات من منظور مغاير لمنظور الكتابة اللّسانيّة التّأسيسيّة أو التّعليميّة؛ حيث أنّ الأولى تسعى إلى بناء هذا التّعريف من داخل التّراث و ليس من داخل المعرفة اللّسانيّة، فإذا كانت اللّسانيّات عبارة عن النّظر العلميّ في اللّغة، فإنّ فحص التّراث سيكشف هو أيضا عن نظر علميّ، و وعيّ أصوليّ بالظّاهرة اللّغويّة.
2. التّعريف بموضوع اللّسانيّات وهي اللّغة، وذلك بالكيفيّة نفسها التي يُعرض بها العلم اللّسانيّ؛ مع التّركيز على تعريفات القدماء للغة، كتعريف ابن جنّيّ للغة الّذي صار نصّا، لا تخلو منه أيّة كتابة لسانيّة تراثيّة.
3. تناول الظّاهرة اللّغويّة من طرف بيئات معرفيّة تراثيّة مختلفة إذ لا يكتفي أصحاب هذا الاتّجاه، بمقارنة نتائج البحث اللّسانيّ انطلاقا مما أنتجه النّحاة أو اللّغويّون عموما، بل يتعدّى شأن المقارنة و القراءة و الشّرح إلى بيئات أخرى، كالفلاسفة و علماء الدّين و النّقاد و غيرهم.
4. الإشارة إلى احتواء التّراث على بعض التخصّصات اللّسانيّة المعروفة، فعلم الدّلالة مثلا ، تناوله القدماء من خلال أكثريّة مباحثه و إن لم يكن ذلك بالتّسميّة نفسها، فضلا عن إشارتهم أيضا إلى تناول البحث اللّغويّ القديم لبعض ثنائيّات الدّرس اللّسانيّ الحديث.

ج- مضامين الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ المتخصّص أو العلميّ:

تتميّز مضامين هذا النّوع، بالانخراط المباشر في طلب الخطاب اللّسانيّ العالميّ، و محاولة مواكبته من حيث ما يتوصّل إليه من نتائج، و ما يتوسّل به من مناهج، و هو أقرب الأنماط اللّسانيّة المغاربيّة المذكورة إلى الممارسة اللّسانيّة المطلوبة من خلال اعتماده " اللّغة العربيّة موضوعا يشتغل به و يتمحور حولها كل اهتمامه، و يتم النّظر للغة العربيّة باعتبارها نسقا صوريّا أو وظيفيّا يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التّحليل اللّسانيّ الحديث"[27]، و عليه تحدّدت مضامين هذا الخطاب باعتقادي في نقطتين هما:

1. نقد نمطيّ الخطاب اللّسانيّ السّالفين و بخاصة الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ، باعتبار إمّا أنّهما لا ينتجان كفاءات علميّة في مجال اللّسانيّات، أو أنها لا تعني واقع البحث في اللّغة العربيّة بشيء مهم.
2. محاولة تقديم بديل نظريّ و منهجيّ، يسمح بإعادة بناء نحو جديد لغة العربيّة، على أساس أنّ الجهاز التّفسيريّ للغة العربيّة و الذي اقترحه القدماء قد نقد من عدة مواضع، إلى جانب اعتقاد أصحاب هذا الاتّجاه، بعدم صلاحيّته و تجاوز الزّمن له، و هنا يتنزّل التيّار التوليديّ التّحويليّ، ممثلا في أعمال الفاسي الفهري و تلامذته، إلى جانب التيّار الوظيفيّ كما تعكسه أعمال الباحث المغربيّ أحمد المتوكّل.

د- مضامين الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ النقديّ:

غاية هذا النّوع هو تتبع النّشاط اللّسانيّ المغاربيّ، و محاولة نقده وتقويمه، و على الرّغم من قلّة مثل هذه الكتابات التي تعكس أبعاد هذا الاتّجاه من الكتابة اللّسانيّة المغاربيّة العربيّة فإنّه يمكن رصد مضامينه التاليّة:

1. الاستعراض التّاريخيّ لنشأة البحث اللّسانيّ العربيّ عموما.
2. نقد الأسس النّظريّة و المنهجيّة لنماذج الكتابة اللّسانيّة المذكورة آنفا.
3. استشراف الأبعاد الجديدة للبحث اللّسانيّ المغاربيّ.

خاتمة:

لقد سعيت من خلال هذا العمل المتواضع إلى محاولة رسم الملامح العامة للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ عبر التّعريف به، و شتّى الاتّجاهات التّي تشكّله، إلى جانب مضامين أو مواضيع هذه الاتّجاهات، و إن كنّا نعترف مبدئيّا بكون العمل قد يكون مغفلا لجوانب على حساب أخرى و الاختصار دون البسط، و غير ذلك مما تفرضه بعض المقامات كأوراق العمل العلمية أو كتابة المقالات.

الهوامش:

1- الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة:بشير إبرير،مجلة الرافد،العدد:47 السنة:2001،ص87.

[2]- مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات: عبد السّلام المسدّي ، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنّشر والتّوزيع، تونس، ب ط، ص.

[3]- نشأة الدرس اللّسانيّ العربيّ الحديث: دراسة في النّشاط اللسانيّ العربيّ: فاطمة الهاشميّ بكوش، إيتراك للطباعة و النّشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص12 و ما بعدها.

[4]- ما وراء اللّغة، بحث في الخلفيّات المعرفيّة: عبد السّلام المسدّي، مؤسّسة بن عبد الله للنشر تونس، 1994، ب ط، ص44.

[5] - أنظر: أشغال ندوة اللّسانيّات و اللّغة العربيّة، مركز الدّراسات و الأبحاث الاقتصاديّةالاجتماعيّة، سلسلة اللّسانيّات، تونس، 1978.

[6] - أنظر الملتقى الدوليّ: اللّسانيّات في خدمة اللّغة العربيّة، مركز الدّراسات و الأبحاث الاقتصاديّة و الاجتماعيّة، سلسلة اللّسانيّات، تونس، رقم5، 1981.

[7] - أنظر الملتقى الدوليّ الثّالث في اللّسانيّات ، مركز الدّراسات و الأبحاث الاقتصاديّة و الاجتماعيّة، سلسلة اللّسانيّات، تونس، رقم8، 1983.

[8] - أنظر: تقدّم اللّسانيّات في الأقطار العربيّة، الرّباط، 1987.

[9] - اللّسانيّات العربيّة الحديثة، دراسة نقديّة في المصادر و الأسس النّظريّة و المنهجيّة: مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني- عين الشق، سلسلة رسائل و أطروحات، رقم 4، الدار البيضاء،المغرب، ب ط، ب ت.

[10] - المصدر نفسه، ص90.

[11] اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة و إشكالات التلقيّ: حافيط إسماعيلي علوي، مثال (مخطوط).

[12]- المصدر السّابق.

[13]- اللّسانيّات العربيّة الحديثة: مصطفى غلفان، ص 131 و ما بعدها.

[14]- من الكتابات اللّسانيّة النّقديّة العربيّة و المغاربيّة نذكر:

1. اللّسانيّات العربيّة الحديثة:مصطفى غلفان (المغرب).
2. تلقي اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة، حافيظ إسماعيلي.
3. المساجلة بين فقه اللّغة و اللّسانيّات: ألفة يونس (تونس).
4. نشأة الدرس اللّسانيّ العربيّ الحديث: فاطمة الهاشمي بكوش (مصر).

15- اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة: حافيظ إسماعيلي علوي (مقال مخطوط).

16- أنظر: النّص القرائيّ بين المرغوب فيه و المنجز، مليكة بوراوي: مجلّة اللّغة العربيـــــّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع:14، الجزائر، 2005، ص 81 و ما بعدها.

17- أنظر: التّرجمة في تجربة المغرب العربيّ؛ علي القاسم، مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2002، ص43 و ما بعدها.

18- قضيّة البنيويّة: عبد السّلام المسدّي، دار الجنوب للنّشر، تونس، ب ط، 1995 ، ص12.

19- أنظر: التّفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة: عبد السّلام المسدّي، الدّار العربيّة للكتاب، ط1، 1981.

20- مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات: عبد السّلام المسدّي ، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنّشر والتّوزيع، تونس، ب ط، ص30.

21- المصدر السّابق، ص30.

22- المصدر نفسه، ص30.

23- المساجلة بين فقه اللّغة و اللّسانيّات: ألفة يوسف، دار سحر للنّشر، تونس، ط1، 1997، ص 80 ،81 .

24- اللّسانيّات العربيّة الحديثة: مصطفى غلفان، ص 131 و ما بعدها.

25- اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة و إشكاليّات التلقّي: حافيظ إسماعيلي علوي (مقالمخطوط).

26- المصدر السّابق.

27- اللّسانيّات العربيّة الحديثة: مصطفى غلفان، ص 92 .